جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

تعاطي المخدرات

اللواء جميل الميمان

الرياض

1411 هـ - 1991 م

تعـــاطي المخـــــدرات(*)

اللواء جميل الميمان

أجد من المناسب أن يشمل حديثي معكم في موضوع تعاطي المخدرات كلمة مختصرة عن ماهية المخدرات . وكيف نشأت ظاهرة تعاطيها والأضرار والسلبيات السيئة التي تنجم عنها والحد الذي وصلت اليه هذه الظاهرة في العالم في وقتنا الحاضر ثم حجم الظاهرة في بلادنا الحبيبة والجهود المبذولة لمكافحتها والاجراءات الواجب اتخاذها للتصدي لها ولتحقيق الأمل المنشود للقضاء عليها ودرء أخطارها عن وطننا الغالي بعون الله وتوفيقه

لقد عرفت المخدرات في العالم منذ زمن بعيد فقد عرف الانسان من قديم الزمن بعض النباتات، والأعشاب واستعملها كعلاج أحياناً أو لبعض طقوس السحر . وعندما انتبه العلماء لهذه النباتات قاموا بتحليلها وفرزوا عناصرها لمعرفة مكوناتها وآثارها وانتهوا الى بعض عناصر محددة لكل نبات، واستفادوا منها في أغراض طبية وعلاجية مثل تخفيف ألم مريض أو للتخدير في العمليات الجراحية وما الى ذلك ولهذا قامت زراعات لتلك النباتات وأقيمت مصانع ومراكز للأدوية لاستخلاص بعض المواد الفعَّالة من هذه النباتات وهي ما تسمى بالمواد المخدرة الطبيعية ذات الأصل النباتي مثل الأفيون ثم تمكن العلماء من استخلاص مواد فعَّالة من

(*) ألقيت هذه المحاضرة بمقر المركز بتاريخ ٢٨ شعبان ١٤٠٥هـ الموافق «١٨ مايو ١٩٨٥م».

المواد المخدرة الطبيعية أكثر تركيزاً وتأثيراً مثل المورفين والهيروين وغيرهما وعندما تطور العلم بعد ذلك تمكن العلماء من تصنيع عقاقير من مواد كيميائية على شكل أقراص أو حبوب أو كبسولات أو أشربة أو حقن لها تأثير المواد المخدرة الطبيعية نفسها . وهذه العقاقير تسمى بالمواد المخدرة التخليقية ومنها تلك العقاقير ما هو مخدر ومهبط مثل كبسولات السيكونال والثاليوم أو منبه ومنشط مثل حبوب الكبتاجون والامفيتامين . . ومنها ما هو مهلوس مثل عقار إل إس دي إن ذلك كله أيها الاخوة لا يشكل مشكلة . . فالعلم وجد لخدمة البشرية ولكن المشكلة نشأت وتفاقمت عندما أسيء استعمال المواد المخدرة، والعقاقير بشكل خاطىء فاستعملت في غير الأغراض التي وجدت من أجلها أو بغير القدر المطلوب ودون مشورة طبية مما أدى الى الادمان عليها ووقوع المتعاطين فريسة لها، ونتج عن ذلك أضرار جسيمة وسلبيات خطيرة على المتعاطين بل وتعدتهم الى أسرهم ومجتمعهم وتنبهت الدول لهذا الخطر فسعت الى وضع النظم، والضوابط التي تحول دون تداول تلك المواد والعقاقير الخطيرة الا للحالات العلاجية الملحة واقتصر استعمال بعض الأنواع الخطرة منها على العلاج داخل المستشفيات المتخصصة كما قام المجتمع الدولي بتحديد كميات زراعة تلك المواد والعقاقير وانتاجها وتصنيعها بالقدر المطلوب للأغراض الطبية والعلاجية وذلك كله بهدف منع استعمالها بشكل خاطىء ونتيجة لاستعمال بعض المتورطين للمخدرات والعقاقير وقامت بتمويل زراعتها وتصنيعها وانتاجها بكميات رهيبة، وتشكلت عصابات دولية تتولى عمليات

التهريب والتوزيع بكل الطرق والأساليب الملتوية ساعية بكل جهدها لايجاد أسواق لها لترويج بضاعتها المسمومة في أية بقعة من بقاع الأرض لتحقيق أغراضها الدنيئة في الثراء الفاحش غير المشروع ضاربة بعرض الحائط كل ما يترتب على أفعالها الشريرة من يضرار بليغة بالبشرية جمعاء وتبذل دول العالم جهوداً مضنية في حرب لا هوادة فيها مع تلك العصابات، وكرست كل امكاناتها وطاقاتها للتصدي لها وشل نشاطها الاجرامي ودرء أخطار تلك السموم الفتاكة عن المجتمع الدولي وسنت القوانين، ووضعت العقوبات الصارمة في حق تلك الفئة المفسدة

إن من فضل الله على عباده أن شرع لهم ما فيه صلاح دينهم ودنياهم وأخراهم فأحل سبحانه لعباده الطيبات من الرزق وحرم عليهم الفواحش والخبائث وكرم الانسان بالعقل عن سائر مخلوقاته، فبالعقل يميز الانسان الشر من الخير والنافع من الضار ويقوده الى الصلاح والفلاح ولما كانت الخمرة تذهب العقل وتعطله فقد حرمت بنص القرآن والسنة والأدلة في التحريم كثيرة وواضحة، وليس أدلَّ على تحريمها أن رسول الهدى (ﷺ) لعن في الخمر عشرة لعن الخمر بعينها وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها . وقد سماها رسول الهدى (ﷺ) بأم الخبائث لأنها رأس كل خطيئة ومفتاح كل شر . فإذا كان الثابت والمسلم به أن الخمر تضعف العقل من حيث وظائفه المختلفة، كالوعي والادراك والتذكر وما الى ذلك بالاضافة الى آثارها السيئة على متعاطيها صحياً وسلوكياً، فإن

المخدرات أيها الاخوة ثبت علمياً أنها أشد خطراً وفتكاً بالانسان وعقله، وليس أدل على ذلك من أن دول العالم كلها بما فيها دول شيوعية وغربية قد حرمت المخدرات ووضعت عقوبات صارمة لكل من يتعامل فيها تهريباً وترويجاً واستعمالاً ووصلت العقوبات في تسع عشرة دولة حتى الآن الى عقوبة الاعدام للمهرب والمروج وما ذلك الا لأخطار هذه الآفة المدمرة.

إن تعاطي المخدرات بأنواعها المختلفة واساءة استعمال العقاقير المخدرة، أو المنبهة أو المهلوسة له آثار وخيمة على صحة الفرد البدنية والنفسية والعصبية والعقلية .. فهي تسبب أمراضاً خطيرة للقلب والجهازين الهضمي والتنفسي .. وتتلف خلايا المخ وتدمر المراكز العصبية وتؤدي بمتعاطيها الى الضعف والوهن والضمور، وتضعف قدرته الجنسية وتفقده الغيرة . وتقلل من قدرته على أداء التزاماته في الحياة وعلى انتاجه ودخله .. فنرى المتعاطي شخصاً معتلا، مهزوزاً، كسولا، مهملا، عديم الغيرة والرجولة، مرتبك التفكير، غير متوازن وينعكس كل ذلك على تعامله مع الآخرين ويفقد الثقة به، وبمعاملاته وتسوء علاقته مع زوجته وأبنائه لسوء عنايته واهتمامه بهم مادياً وتربوياً فتتفكك الأسرة وينحرف الأبناء فيتأثر المجتمع كله نتيجة انهيار الأسرة ويصبح مجتمعاً مريضاً مصاباً بأخطر الآفات فيقع لقمة سائغة للأعداء للنيل منه في عقيدته وأرضه وثرواته . . ومما لاشك فيه أن المجتمع الذي يتفشى بين أفراده تعاطي المخدرات تنهار اقتصادياته نتيجة ضعف انتاج الفرد ونتيجة للمبالغ الطائلة التي تذهب سدى من دخول الأفراد ثمناً لتلك السموم

بالاضافة الى الأموال الهائلة التي تنفقها الدولة في سبيل المكافحة ورعاية واعاشة سجناء قضايا المخدرات داخل السجون وهم قوى معطلة عن العمل والانتاج فضلا عن تركهم أسرهم عالة على المجتمع وعرضة للانحلال وسوء المصير سواء في مجال البغاء أو الجريمة أو انحراف الصغار نتيجة لفقد رعايتهم . وناهيك عما يترتب على تفشي المخدرات بين أفراد المجتمع من فوضى وفساد وهمجية واخلال بالأمن . . فمتعاطي المخدرات يأتي بتصرفات سلوكية ضارة تحت تأثير المخدرات فيرتكب أفظع الفواحش والجرائم من قتل وسرقة وتعدٍ على النفس والمال والعرض حتى يبلغ به الأمر أحياناً ـ والعياذ بالله ـ الاعتداء على محارمه . ولقد أثبتت الاحصائيات والدراسات في مختلف دول العالم أنه كلما زادت ظاهرة تعاطي المخدرات في احدى المجتمعات ارتفعت معدلات أخطر الجرائم . . كما ثبت أن معظم حوادث السيارات التي يروح ضحيتها العديد من الأبرياء وتخلف وراءها العديد من المآسي الانسانية المؤلمة يرجع السبب فيها الى استعمال السائقين المخدرات والحبوب والمسكرات.

وأود أن أشير بأن الأمر لا يقتصر على تلك الآثار والأضرار الناتجة عن تعاطي الفرد للمخدرات وإنما هناك أبعاد خطيرة يتعرض لها المتعاطي نتيجة عجزه عن الحصول على المخدرات في المواعيد التي اعتاد فيها تناولها . . وتلك الآثار تكون قاسية وشديدة قد تؤدي به الى الجنون أو الوفاة . ومن هذه الأعراض ما نشاهده بحكم طبيعة عملنا الميداني حدوث تشنجات شديدة ومؤلمة كحالة الصرع وافرازات دمعية أو أنفية ولعابية شديدة وعرق واسهال وإغماء

واضرابات في القلب . . وفي بعض الدول الغربية يسخر المتعاطي المدمن لعمليات الاغتيال والتخريب والتجسس والسطو على الأموال والأعراض مقابل اعطائه المخدر والاَّ كان مصيره الجنون والموت المحقق.

إن الادمان على المخدرات يبدأ من مستصغر الشرر . فأحياناً يبدأ الشخص باستعمال المخدر أو العقاقير علاجاً خاطئاً دون مشورة طبية فينتهي به الأمر الى الادمان فيصعب عليه الافلات أو النجاة منه . وأحياناً يلجأ بعض الشباب الى تعاطي المخدرات للتجربة والتقليد الأعمى لقرناء السوء بقصد الانبساط الموهوم للهروب من واقعهم الأليم ـ في الحقيقة هم مخطئون لأنهم بعد قليل يشعرون بأثر استعمالهم للمخدر قد زال سريعاً فليجأون الى زيادة الجرعة لينشدوا ما يريدون من متعه زائفة وبعدها يعتادون عليها ويصبحون رهينة لها، وهنا تقع الكارثة ولا ينفع الندم . وهناك بعض الطلبة تورطوا في استعمال الحبوب المنبهة بهدف اليقظة والسهر للاستذكار وهم بذلك واهمون لأنها في الحقيقة تجعلهم مستيقظين ببدنهم فقط بينما عقولهم مجهدة شاردة وليس لديهم القدرة على الفهم والتركيز وسرعان من يزول أثر تلك الحبوب، فيشعرون بالكسل والخمول وعدم القدرة على التذكر أو الاجابة وتنتابهم حالة من التوتر العصبي والقلق ولا يستطيعون النوم للراحة فيلجأون الى استعمال الحبوب المخدرة وهكذا لا يستطيعون اليقظة بدون الحبوب المنبهة ولا النوم بدون الحبوب المخدرة وبذلك يدمنون عليها وهنا تقع الكارثة أيضاً.

من الثابت والمعلوم أن معظم دول العالم قد عانت منذ زمن

بعيد ـ وما زالت تعاني ـ من مظاهر تعاطي المخدرات . ولكن مملكتنا الحبيبة ـ ولله الحمد والمنة ـ ظلت بعيدة عن هذه الظاهرة حتى قبل ثلاثين عاماً . ومع الانتشار المتزايد والمطَّرد للاتجار الدولي غير المشروع وتفشي تعاطي المخدرات في العالم وما توفر من سرعة الانتقال وسهولة الاتصال واختلاط الشعوب ببعضها كان من الطبيعي أن لا تسلم المملكة ـ وهي جزء من هذا العالم ـ من ظاهرة المخدرات فبدأت في الظهور في بعض مدن المملكة من قبل عشرين عاماً تقريباً ثم تزايدت خلال السنوات القليلة الماضية والسبب من ذلك يرجع الى عدة عوامل أذكر منها مايلي

١ ـ موقع المملكة الجغرافي وقربها من بعض مناطق زراعة بعض أنواع المخدرات وانتاجها وتخزينها

٢ ـ مساحة المملكة الشاسعة ومحاداتها لثلاث عشرة دولة ووجود العديد من المنافذ البرية والبحرية والجوية ووجود شريط حدودي وساحلي ممتد لمسافة طويلة جداً وفي مناطق تكاد تكون خالية تماماً من السكان مما شجع على عمليات التهريب الى داخل المملكة

٣ ـ الظروف الاقتصادية التي تعيشها المملكة والتي اقتضت استقدام أعداد كبيرة من العمالة الأجنبية من مختلف دول العالم للمشاركة في تنفيذ مشاريع الدولة التنموية مما أتاح الفرصة للمهربين لاستغلال بعض من هؤلاء لتهريب المخدرات الى المملكة بأساليب وطرق ملتوية عديدة

٤ ـ ارتفاع مستوى الدخل بين الأفراد ووجود فائض مادي في أيدي

الشباب مع ضمور الوازع الديني لدى البعض منهم، وعدم وجود برامج لشغل أوقات فراغهم بما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالنفع والخير . كل ذلك ربما يكون سبباً في اغراء الشباب لتعاطي المخدرات

٥ ـ انتشار عادة سفر المواطنين الى دول العالم مما جعل بعض الشباب يتأثر بالعادات السيئة لدى تلك الدول ونقل تلك الأنماط السلوكية الى المملكة ومنها تعاطي المخدرات التي تتفشى في معظم مجتمعات هذه الدول.

أما الأسباب التي قد تؤدي الى تورط الشخص في تعاطي المخدرات فأهمها الآتي:

١ ـ ضعف الوازع الديني والبعد عن الله وعدم اللجوء إليه في الشدائد والمحن فبعض الأشخاص ذوي النفوس الضعيفة تخور عزائمهم أمام مشاكل الحياة وتتخاذل وطنيتهم ويضعف ايمانهم بربهم فيقعون فريسة للمخدرات للهروب من واقعهم الأليم فيحطمون كيانهم

٢ ـ الفراغ: وهو سلاح فتاك إذا ما وجهناه الى صدورنا ولم نستغله فيما ينفعنا في ديننا ودنيانا ـ وقد قيل: «إن الفراغ والشباب والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة»

٣ ـ جليس السوء وهو أخطر الأسباب وأهمها، وقد ثبت عن النبي (ﷺ) أنه قال: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» وفي حديث آخر قال (ﷺ): «إنما مثل جليس الصالح والجليس

السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة . . ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك . وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة» . . وعنه (ﷺ) أنه قال: «لا تصاحب الاَّ مؤمناً ولا يأكل طعامك الاَّ تقيٌّ» كما ثبت عنه (ﷺ) أنه قال: «ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه» وهناك قول مأثور ـ الصاحب ساحب ـ ولله در من قال.

لا تسل عن المرء وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

كما قيل: (من رافق المصلين صلى ومن رافق المولين ولى) وهناك مثل يقول: (لا تقرب الأجرب على الحول تجرب) . ولقد جاء في محكم كتاب الله العزيز من الآيات البيِّنات ما فيه تبصرة للعباد بعواقب مخالطة أهل السوء في الدنيا وعقابهم يوم الحساب . . قال الله تعالى: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * ياويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلا * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا﴾، وقال عزَّ وجلَّ. ﴿الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الاَّ المتقين﴾.

لقد أجريت بحثاً ميدانياً على ستين شاباً متعلماً ممن تورطوا في تعاطي المخدرات وترويجها وتهريبها وثبت لي بصورة قاطعة أن سبب انزلاقهم في مهاوي المخدرات كان في الأساس جليس السوء لهذا فإني أوصيكم ونفسي بتقوى الله واختيار الصديق والجليس الصالح . . وأوصي الآباء منكم بملاحظة أبنائهم ورعايتهم وإبعادهم عن جلساء السوء وشغل أوقات فراغهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم

«فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» وقد قيل: (من أدب ولده صغيراً سُر به كبيراً)

إن أعداء الله وفي مقدمتهم اليهود قد تيقنوا أن العروبة قد فشلت في جمع شمل العرب وأن الاسلام بلاشك أقوى من العروبة . وأن راية لا أله الاَّ الله محمد رسول الله يلتف حولها المسلمون في كل بقاع الأرض . كما تيقنوا بأنه لم ترفع راية الجهاد في سبيل الله الاَّ وكان النصر لدين الاسلامي وسيكون هذا دائماً بإذن الله الى يوم الدين، لأنه وعد من الله سبحانه بنصرة من ينصره، وهذا بلاشك أوجد الذعر في نفوسهم، لذلك لجأوا الى أقوى سلاح فتاك . أخطر من البندق والمدفع والصاروخ والقنبلة فاستخدموا المخدرات كما سبق أن استخدموها مع الصين عندما عجزوا عن غزوها بالسلاح فغزوها بالمخدرات وسميت بحرب الأفيون، وأرادوا في هذه الحقبة من الزمن أن يعيدوا التجربة نفسها التي نجحت في الصين بين أفراد الأمة الاسلامية فصدروا المخدرات الى بلاد الاسلام ومنها بلادنا العزيزة ـ حماها الله من كل مكروه ـ ولكن بفضل الله وعونه وتوفيقه ثم بحرص الحكومة للتصدي لهذه الظاهرة بكل قوة وعزيمة واستطعنا بفضل الله وعونه السيطرة على الوضع وأصبحت الظاهرة خفيفة للغاية ولله الحمد ونطمع إن شاء الله أن تزول نهائياً من مجتمعنا الى غير رجعة.

لا شك أن دور الشرطة في الوقاية من المخدرات هو أساسي وهام فعلى عاتقها تقع مسئولية المكافحة الميدانية ضد هذه البلية

فهي التي تمتلك الامكانات المادية والبشرية . وهي المهيأة والمعدة أصلا للوصول المباشر الى مصادر توالد الآفة لكي تقف حائلا دون انتشارها بين أفراد المجتمع ومن المسلم به أن الوقاية خير من العلاج وهذا في مفاهيم مكافحة المخدرات معناه التركيز بشدة على منع تنفيذ أي مرحلة من المراحل، فهذه المشكلة تبدأ من الزراعة والتصنيع والتهريب والاتجار والترويج حتى وصول المخدر لأيدي المتعاطين، والادارة العامة لمكافحة المخدرات في المملكة العربية العربية السعودية تؤدي مهمتها من خلال خطة عملية متطورة وتتبع أحدث أساليب المكافحة سواء في الخارج أو الداخل بالتعاون والتنسيق مع أجهزة المكافحة الاقليمية والدولية والعربية والأجهزة المحلية ذات العلاقة كسلاح الحدود والجمارك والجوازات وغيرها

ولكن كما هو معلوم إن جريمة المخدرات جريمة منظمة والمتعاملون فيها على جانب كبير من الخبث والدهاء ويلجأون الى كافة الحيَّل المتجددة، فكلما اكتشفت طريقة لجأوا الى غيرها ولذلك فإن أجهزة المكافحة مهما توفر لها من امكانات وقدرات ومهما بذلت من جهد فهي لا تستطيع وحدها مكافحة نشاط هذه الفئة المجرمة بل لابد من مشاركة كل أفراد المجتمع وفي نظري أن أمر مكافحة هذه الآفة فرض عين على كل مسلم قادر . فلقد ثبت عن النبي (ﷺ) أنه قال «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان» وفي الحديث الذي رواه النسائي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «إن القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيَّروه عمهم

الله بعقاب» . والمخدرات من أنكر المنكرات ورأس كل خطيئة ومفتاح كل شر ومحاربتها واجب ديني ووطني وانساني . فعلينا مسئولية عظيمة نحو ديننا ووطننا في مكافحة هذه الآفة وذلك لرعاية أبنائنا، واخواننا، ومواطنينا الرعاية السوية والأخذ بأيديهم في المحن والشدائد وحل مشاكلهم وارشادهم الى طريق الخير والجليس الصالح وتوعيتهم وتبصرتهم بآثام وأضرار هذه السموم وسلبياتها السيئة وحثهم على التمسك بتعاليم دينهم وبعقيدتهم ووطنيتهم والعودة الى العادات والتقاليد العربية الأصلية والتي من شأنها ايجاد المناعة والشخصية القوية المؤمنة فلا يتورطون في تعاطي المخدرات، فيتحقق بذلك تقليل الطلب عليها وبالتالي يقل العرض ونحد من عمليات تهريب وترويج تلك البضاعة المسمومة، كما يجب أيضاً على كل قادر في هذا البلد الأمين أن يكون عيناً ساهراً للسلطة متعاوناً معها في كل ما يعود عليه، وعلى أبنائه، وأسرته، واخوانه، ومجتمعه بالخير والأمن والطمأنينة، وذلك بالادلاء بالمعلومات عن أي عابث ومفسد في الأرض ليتسنى ردعه ومعاقبته.